

## خصائص اللسان البشري

تمهيد:

تسعى المحاضرة إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية: إذا كانت اللغة ظاهرة إنسانية، فما الذي يجعلها كذلك؟ وبالتالي ما الذي يجعل هذا اللسان خاصية مميزة للإنسان وحده دون سائر أنواع الحيوان وإذا جاز لنا الحديث عن لغة عند الحيوان، فما الفرق بينها وبين لغة الإنسان؟

### أ- الخصائص:

زيادة على خصائص اللسان البشري التي تناولناها سابقا لدى فرديناند دي سوسير وهي اعتبارية الدليل اللغوي (L Arbitraire Du Signe والخطية (La linéarité du Signe ثم التقطيع الثنائي (المزدوج) للغة (La Double Articulation)، يشير علماء اللسانيات إلى أن اللسان البشري يتميز بشكل خاص، بمجموعة أخرى من الخصائص تجعله مقتصرًا على الإنسان دون غيره، كالحيوان مثلا ومن أهم هذه الخصائص ما يأتي:

### 1- التبليغية (من التعبير إلى التواصل)

اللسان وسيلة، أي أداة يستعملها الإنسان لتؤدي وظيفة التبليغ والاتصال والإخبار. والتبليغ والتواصل هو التخاطب المتبادل بين أفراد جماعة فهي إذن الوظيفة الرئيسية التي تؤديها الألسنة البشرية، وعلى أساسها يمكن أن تشخص الوحدات اللغوية وتصنف، إذ نقول عن عنصر ما إنه وظيفي إذا كان يقوم بدور تمييزي تفاضلي في اللغة فيميز بين المعاني

### 2- الإنتاجية: productivité

وتعني أن المتكلمين يستطيعون أن ينطقوا بتركيبات لم يسبق لهم أن سمعوها من قبل ويعود هذا إلى الوضع السابق للغة: أي أنّ ما تعارف عليه أهل اللغة يقتصر فقط على وضع المفردات، والأنماط، أو المناويل التركيبية دون القولات utterance التي يستخدمها المتكلمون. أي أن المتكلمين غير مقيدين في كلامهم بما قيل سابقا؛ أي ليس عليهم أن يحفظوا كل الجمل التي قيلت قبلهم كي يصدق عليهم أنهم يتكلمون العربية، بل عليهم أن يتقيدوا بما وضعته العرب في المفردات، والمركبات الجزئية فقط. أما الجمل فيمكنهم أن يقولوا منها ما يشاءون. أي إمكان إحداث (أ وفهم) جمل جديدة لم تنطق من قبل. وتحظى خصيصة الإنتاجية باهتمام تشومسكي للغة، حيث يرى أن اللغة هي مجموعة من الجمل غير محدودة العدد، وكل جملة منها محدودة الطول مصوغة من مجموعة من العناصر المحدودة.

### 3- الاختلافية (السياقية):

كل لغة عبارة عن نظام من الاختلافات، فقيمة الكلمات لا تتحدد إلا بتموضعها داخل النظام الذي يحتويها، والسياق الذي ندخلها فيه. فإذا جئنا بكلمة "قائد" مثلا منعزلة لوحدها فإنها لا تدل على شيء، إن هذه الكلمة لا تأخذ معنى إلا ضمن سياق ما. وقد يكون للكلمة قيمة إذا كان هناك ترادف أو تشابه على المستوى الصوتي إذن فهناك ارتباط وعلى الرغم من الاختلافات الفردية، فهناك أساس مشترك يسمح لنا التواصل، على مستوى الأشكال، وعلى مستوى المعنى. مثل جملة: (دخلت الفصل، الفصل بين السلطات، بحلول الفصل الجديد، الفصل الذي تعرض له القاضي) " فلا أحد

يستطيع تحديد الكلمة أو ضبط دلالاتها دون اعتبار ما يحيط بها، سواء في تحديد ما تدل عليه أو ما لا تدل عليه." وعلى الرغم من هذا، فإن معناها الأساسي يبقى هو ذاته. وبعبارة أخرى، تتغير المادة (المضمون)، ولكن الشكل لا يبقى هو نفسه.

#### 4- التصرفية الزمنية

اذ يمكن استخدام اللغة للحديث عن أشياء حقيقية أو متخيلة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، بل يمكن للغة استبطان نفسها أي الحديث باللغة عن اللغة نفسها، فالنحلة مثلا تدلي بالحقيقة وهي انها قد وجدت رحيقا الآن ولكنها لا ترقص لرحيق اكتشفته في مناسبة ماضية، ولا تتفكر في مكتشفات المستقبل. فالإنسان وحده القادر على ان ينغمس في دوامة معقدة من التساؤل والاجابة بين الأزمنة

#### 5- التبادلية:

إمكانية الذهاب والعودة بين المتحاورين في عملية تواصلية ثنائية الاتجاه، في آن واحد أي ان كل إنسان يمكن ان يكون منتجا ومستقبلا للرسائل. وهي ميزة وان وجدت عند بعض الحيوانات فإنها تختلف عن اللسان البشري، والفرق البارز هنا مع لغة الحيوان أنه يتم تأسيسها على إشارات منفردة، تؤدي إلى رد فعل وليس الدخول في عملية تواصلية على الطريقة اللغوية. كذلك ما لبعض للذكور من الطيور من نداءات لا توجد لدى الإناث.

#### - النتيجة:

هناك فعلا خصوصية اللغة البشرية، ولكن هذا لا يعني أن القدرة على التواصل لغويا هو حصرا للإنسان، ولكن بقى أن هذه الكلية هي للإنسان على وجه التحديد بمعنى أن الإنسانية في ما لديها من الضروري، أي الفكر والوعي الذاتي، لا يمكن أن يتطور من دون لغة، وهي التفكير والوعي الذاتي، الذي لا يمكن أن يتطور دون لغة، الذي هو نظام من العلامات لدى الانسان فقط كما يأتي:

- 1- تتميز لغة الإنسان بطابعها الفكري والشعوري والتجدد في آن، بخلاف لغة الحيوان ذات طبيعة غريزية ومغلقة.
- 2- لغة الإنسان اصطلاحية فكل مجموعة بشرية اصطلاحت على مجموعة من الرموز، فجعلوها لغتهم يتفاهمون بها.
- 3- تتميز اللغة الإنسانية في أنها تتقطع إلى مستويين متميزين: مستوى الوحدات الدالة ومستوى الوحدات غير الدالة.
- 4- اللغة (بمعنى اللسان) الانسانية مكتسبة بخلاف لغة الحيوانات فطرية
- 5- للحيوانات أشكال من التواصل فيما بينها: غريزية، ثابتة وغير متطورة، مرتبطة بحاجات ضرورية وبيولوجية، فقيرة وبسيطة من حيث الدلالات والمعاني، منغلقة وخاصة بالنوع الحيواني الواحد